

محاكم التفتيش الإسلامية اليوتيوبية

الدحيح ليس آخر الضحايا

علاء الدين الخطيب



دراسات إسلامية

بيت السلام
Peace House

بيت السلام

2019/08/08

المحتويات

- 4..... ما هي قصة صدف الدحيح؟
- 5..... أين المشكلة في الاختلاف بالرأي والنقاش؟
- 7..... لكن لم يدع أيا من المهاجمين للاعتداء على الدحيح أو غيره
- 8..... بعض من هاجم الدحيح
- 8..... الدكتور إياد قنيبي
- 10..... الدكتور هيثم طلعت
- 11..... وغيرهم كثير
- 11..... لا تنه عن خلق وتأتي بمثله
- 12..... الكذب على الدحيح في حلقة يا محاسن الصدف والجور في تفسير كلامه:
- 15..... الكذب على الدحيح في حلقات أخرى
- 17..... ملاحظات عامة على أسلوب الدكتور قنيبي مقارنة بالدحيح
- 18..... لماذا هي محاكم تفتيش؟
- 19..... لكنك لم تناقش حجج الدكتور قنيبي العلمية!
- 19..... نعود للسؤال الأصلي أليس الترويج لهذه النظريات ترويج للإلحاد؟
- 22..... هل يقدر حراس المعبد الإسلاميون الإسلام والمسلمين حق قدرهم؟

محاكم التفتيش الإسلامية اليوتوبية

الدحيح ليس آخر الضحايا

2019/08/06

علاء الدين الخطيب

(العبارات الملونة بالأزرق تحمل روابط للمصادر والمراجع)

هل هي من مساوئ الصدف أن تنهمر اتهامات الإلحاد على الدحيح وهو يتكلم عن "[محاسن الصدف](#)"؟ أم هي من مساوئ استمرار الديكتاتورية السياسية والاجتماعية والإعلامية والدينية، وانتشار الفوضى الإعلامية على الشبكة العنكبوتية؟

قدم السيد أحمد غندور، المعروف بالدحيح، حلقة حول معنى الصدفة، ومبادئ علم الاحتمالات، ضمن رؤية حاول وضعها ضمن سياق وتسلسل يتدرج في توسيع المفهوم وشرحه. فبدء من مثال رمي العملة، ثم احتمالات ربح جائزة اليانصيب، ثم احتمالات الربح في سوق البورصة، ثم احتمالات انهيار شركات ضخمة في السوق؛ وأرفق كل مثال بإعادة نظر للمثال وفق تغيير في الظروف المحيطة أو كيفية حصوله:

1. طرح في مثال العملة فرضية أن يكون للعملة نفس الوجه، فيختفى الاحتمال لتظهر الحتمية؛

2. ثم روى قصة مجموعة اشترت خمسة ملايين بطاقة يانصيب من أصل سبعة ملايين، لكي تتغلب كثرة بطاقتها على الاحتمال الضعيف للربح من خلال بطاقة واحدة؛
3. ثم بين أن مخططا يقظا يمكنه بناء سلسلة من التوقعات الشاملة لسهم ما في البورصة، ومن خلال إيهام مجموعة كبيرة من الأشخاص بأنه مستشار خبير في سوق البورصة، يستطيع أن يربح بالنهاية مع بقاء شخص واحد من هذه المجموعة.
4. ثم بين وفق أمثلة حول انهيار شركات ضخمة في السوق المالي، الفروق الممكنة في قراءة احتمالات الانهيار، باختلاف وسائل وفرضيات صياغة مسألة الاحتمالات.
5. ثم انتقل الدحيح للسؤال الصعب حول دور الاحتمالات أو الصدفة في كوننا الذي نعيش، فذكر تفسيراً منتشرًا بين الفيزيائيين حول الأكوان المتعددة، والذي يقول إن كوننا هو واحد من عدد هائل من الأكوان، الذي اتفق له أن يمتلك الثوابت الفيزيائية الأساسية اللازمة لوجودنا.

بعد هذه الحلقة قامت عليه قيامة نجوم اليوتيوب الإسلاميين من كل حذب وصوب، تتهمة بالإلحاد أو نشر الإلحاد، وتهديد إسلام مليار ونصف مسلم، أو على الأقل إسلام ثلاثمائة مليون مسلم يتكلمون العربية باعتباره يتكلم بالعربية، أو إسلام تسعين مليون مصري مسلم باعتباره مسلماً. بل إن موقع [اليوم السابع](#) المصري انضم مؤخراً للحملة مساهماً في مظاهرة الاتهامات ضد الدحيح، مما منحها بعداً إضافياً خطيراً خرجت به من فضاءات اليوتيوب والفيسبوك.

ما هي قصة صدف الدحيح؟

الحلقة التي أثارت غضب الدعاة اليوتيوبيين الإسلاميين، كما قدمت، تكلمت عن الصدفة والاحتمالات ونظرية الأكوان المتعددة. وهذا ما اعتبره جهابذة هذا التيار **دعوة للإلحاد ونشر للكفر بين الناس**.

أما السبب وفق فهمهم للدين والإيمان ووفق تأويلهم لكلام الدحيح، فهو أن ما طرحه حول الصدفة والاحتمالات يناقض وجود خالق للكون، لذلك فهو دعوة للإلحاد.



أين المشكلة في الاختلاف بالرأي والنقاش؟

ليست المشكلة في الاختلاف مع أفكار الدحيح أو غيره، وليست المشكلة في رفض نظرية الأكوان المتعددة، أو نظرية التطور، ولا حتى في رفض قوانين الميكانيك العام؛ بالعكس تماماً، أن يتساءل الإنسان ويشكك ويدقق ويتحقق هو سلوك محمود عقلا وعلماء ودينا.

المشكلة الكارثة هي في نوعية الطرح ضمن مجتمعاتنا. فيوم تتكاتف عدة مصادر، تدعي الكلام باسم الإسلام، على الحكم على إنسان ما، أو جماعة ما، **على أنه ينشر الإلحاد بين المسلمين، فهذا يعني**

بالضرورة الحكم عليه بأنه ملحدٌ ومرتبٌ وعدو للإسلام والمسلمين. وكلنا يعلم ماذا يعني ذلك في مجتمعاتنا التي يسيطر على دينها طبقة من رجال الدين وكتب التراث وأحكام الشيوخ والفقهاء، والتي يتفق غالبيتها على **قتل المرتد**. وهذا ما حصل فعلا وعمليا مع عديد من الأسماء المشهورة في عصرنا الحالي، وللآن لم يخرج من بين رجال الدين الإسلامي، سنة أو شيعة، جماعة ذات شهرة وتأثير واسع ترفض حكم قتل المرتد، وتعيد قراءة النصوص الأصلية بنظرة عصرية عقلانية.

فإن لم يتم استهداف الشخص الهدف في هذه الحالات بجريمة قتل إرهابية، فهو سيبقى تحت تهديد الاعتداء الجسدي؛ أو تحت سوط الظلم السلطوي من خلال القضاء الرسمي، مثلما فعلوا مع محمود محمد طه المفكر السوداني الذي تم إعدامه بتهمة الردة وفق القضاء السوداني عام 1985؛ أو على الأقل سيتم سجن الضحية ضمن دائرة الحرب النفسية والمعنوية والنبذ الاجتماعي.

ليست غايتنا هنا مناقشة حكم المرتد شرعياً، ولا التبريرات الواهية التي يقدمها الدعاة الإسلاميون الذين يأخذون فهمهم للدين عن شيوخ وفقهاء مقلدين لهم لا متفكرين متعقلين، مثل قولهم أن كثيراً من الفقهاء المعتبرين قديماً وحديثاً ألزم حكم قتل المرتد بوجود الحاكم الشرعي المسلم، وبحق المرتد في الاستتابة، بل إن عديدين منهم قال إن الاستتابة يمكن أن تمتد العمر كله؛ أو مثل تبريرهم الواهي بمقارنة حكم قتل المرتد بحكم قتل الخائن خيانة عظمى عند كثير من الدول. كل هذه الحجج لا تلغي ولا تبرر أن الحكم الذي وضعه شيوخ وفقهاء المسلمين هو حكم ظالم في عصرنا، وغير مقبول لا عقلاً ولا أخلاقاً، بل وليس ثابت إسلامياً إلا ضمن تأويل النصوص القرآنية؛ تأويل قدمه شيوخ هم بالنهاية بشر مثل غيرهم.

ليس الدحيح الأول ولا الأخير الذي يتعرض للمحاكمة باسم الله والدين، لكن بسبب شهرة برنامجه، وبسبب صراع التيار الإسلامي المتشدد والمتعصب لإبقاء سلطته قائمةً حاكمَةً على قلوب وعقول الناس، كان هو الضحية الأشهر في هذه المرحلة. ففي نفس هذه الفترة تعرض أيضاً الباحث واليوتيوبي أحمد سعد زايد، المتخصص في الدراسات التاريخية والدينية والتنويرية، للاتهام بالإلحاد بشكل مباشر، والاتهام بالعداء للإسلام من قبل نفس التيار الإسلامي المتطرف.

الخطر والقمع لم يتوقف عند هؤلاء اليوتوبيون، بل هو ممتد أصلاً في أجهزة قضاء رسمية في كثير من دول المسلمين، تحكم بالعقاب بدءاً من التغريم المادي، مروراً بالسجن، وصولاً للإعدام، وخاصة في السعودية وإيران ومصر. وليس الأمر متوقفاً عند تعصب إسلامي، فقد أعلن التعصب المسيحي مؤخراً عن وجوده في لبنان من خلال التهديد بانتهاج العنف ضد فرقة "مشروع ليلى"، مما حدا بالمسؤولين إيقاف عروضها لـ "[منع إراقة الدماء](#)".

إذا نحن هنا أمام تحريض جماعي على الاعتداء على أشخاص محددين بعينهم أو بتوجهاتهم. أي أمام جريمة كاملة الأوصاف، ولسنا أمام نقاش فكري أو ديني، ولا حتى صراع أفكار وعقائد.

لكن لم يدعُ أي من المهاجمين للاعتداء على الدحيح أو غيره

وأضيف هنا أن أيّاً ممن سمعته من "حراس الدين" هؤلاء لم يقل إن الدحيح نفسه ملحد، مثلما فعل بعضهم مع أحمد سعد زايد. لكن كما ذكرنا سابقاً فما أطلقوه من اتهامات يكفي لوضعه ضمن دائرة الاستهداف بالاعتداء والنبد. فمن كَفَّر فرج فودة ونجيب محفوظ لم يدعُ لقتله، لكن كان هناك من هو جاهز ليقوم بقتل فودة ومحاولة قتل نجيب محفوظ، وهذا التبرير هنا يذكرنا تماماً بما يقوله [دونالد ترامب](#) في تعليقه على جرائم العنصريين البيض الإرهابية، فهو يكرر أنه لم يدعُ أحداً لقتل أحد وهو ضد ذلك، فهل نصدق حراس الدين هؤلاء؟

السؤال الأساسي هنا: "هل حذر أي من حراس الدين هؤلاء متابعيهم والواقين بكلامهم من القيام بأي عمل عدائي ضد الدحيح أو غيره؟ هل ختم أي منهم كلامه ببضعة جمل يقول فيها "أيها الإخوة الأكارم أنهاكم عن محاولة الاعتداء الجسدي أو المعنوي على الدحيح"؟ طبعاً لم يقل أي منهم ذلك. فما بالك لو سألناهم أن يرفضوا حكم فتوى قتل المرتد؛ لكننا نعلم أن هذا خارج ما تعلموه من قيود تحبس العقل والفكر، رغم أن ذلك هو الحماية الحقيقية للإسلام الصحيح.

بعض من هاجم الدحيح

أذكر بعضا ممن هاجم الدحيح وغيره مؤخرا، لكي يعرف القارئ شيئا مختصرا عن طروحاتهم من خلال منشوراتهم هم، وليس من خلال أحكام مرسله حولهم، بل سأنبه عندما أذكر رأيي الخاص، والذي ليس حكما بالطبع.

الدكتور إياد قنيبي

الدكتور قنيبي وفق سيرته الذاتية، هو دكتور متخصص في الصيدلة وعلم الأدوية، وذو إنتاج علمي متميز في هذا المجال. أما كيو تيوبي وإسلامي فهو كاتب إسلامي أردني كما يعرف نفسه. يقول إنه ليس منتسبا لأي تيار سلفي جهادي، لكن أيضا يناصر السلفية الجهادية ويتبنى قضاياها الشرعية؛ وقد كان له مواقف يستنكر أخطاء بعض فصائلها، مثل الدولة الإسلامية (داعش)، ويستهجئ شطط بعضهم في استباحة الدم، دم المسلمين، فتعرض للاعتداء الجسدي بسبب ذلك.

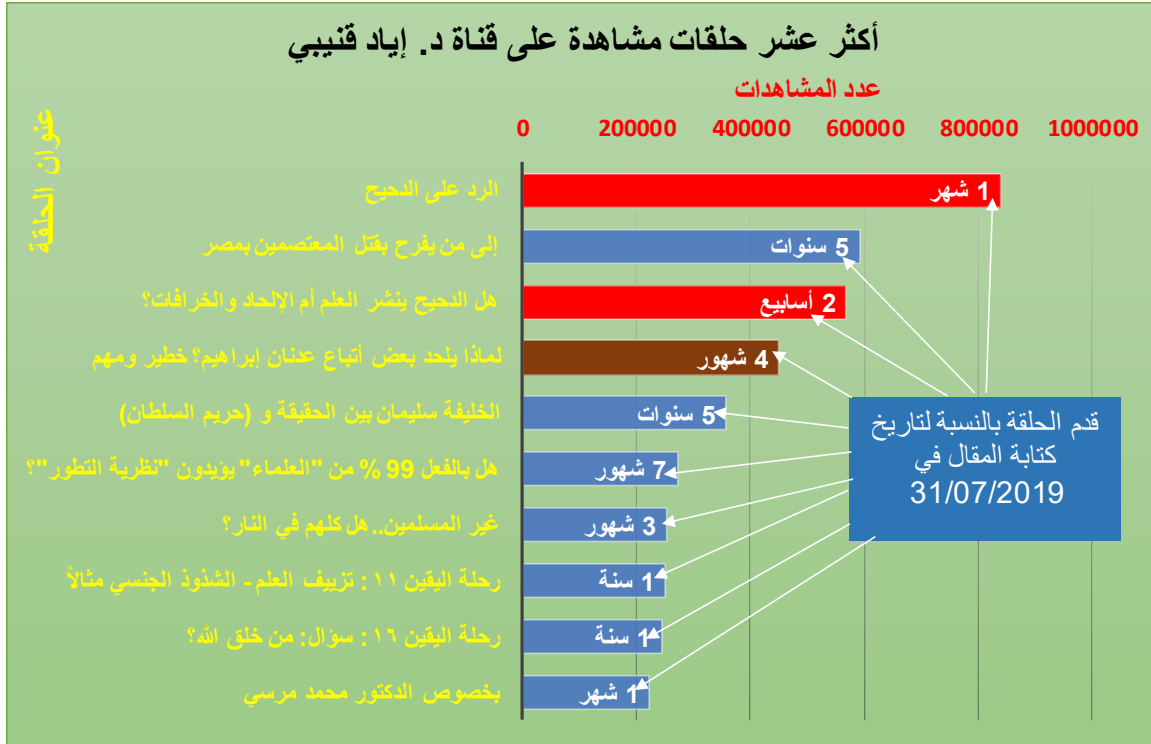
هو ممن يرفضون وصف الإسلام بأنه دين السلام بل يراه دين الحق والعدل. كما أنه يرفض ميل بعض المسلمين لإنكار انتشار الإسلام بالسيف، واكتفائهم بجهاد الدفع (الحرب الدفاعية)، بل يطالب بعودة جهاد الطلب (الحرب الهجومية) يوم تتحقق للمسلمين دولتهم، لفرض الجزية على الآخرين إن لم يسلموا أو يفتحوا بلادهم لدعاة الإسلام. ومنذ 2011 هلل لمن سماهم مجاهدين قدموا إلى سوريا، وطالبهم برفض الدولة الديمقراطية، ودعاهم للاستمرار في مشروع الجهاد الشامي كما يسميه، رغم أنه يتحفظ على سلوك داعش ويعتبر أن إعلانها الخلافة الإسلامية هو افتئات على الأصول الشرعية، ويناقشهم بكل أدب ومحبة وتهذيب، سائلا إياهم، أي أهل حل وعقد قرروا أن الخلافة واجبة فيهم، وهم قد أهملوا أمراء وشيوخ الجهاد في أفغانستان ومالي وسيناء وليبيا وسوريا.

يتوسع الدكتور قنيبي في موضوع الإلحاد والعلوم الحديثة على قنواته اليوتيوبية، وله أسلوب يهر غير المتخصصين أو المتابعين لهذه المواضيع، حيث يكثر من الاستشهاد بكتب العلماء الغربيين،

الذين لم يسمع بهم غالبية المسلمين، ليعلن زيف بعض النظريات العلمية مثل [نظرية التطور](#)، ونظريات الأكوان المتعددة، ونظرية كل شيء لستيفان هوكينغ، ويضعها في خانة العلم الزائف حسب تعريفه، بل ضمن [الخرافات والتجهيل والكذب](#).

كما سمعته يمكنني القول إنه ذو لهجة متعالية مغرورة ضد من يخالف رؤيته للإسلام، ولا تقتصر هذه اللهجة على تسفيه وتجهيل العديد من العلماء والعلوم، بل تمتد إلى رموز الأديان الأخرى، فهو يصف بابا الفاتيكان بأنه "[يوم النصاري](#)"؛ وكذلك يحكم على من يصدق أو يتقبل ما يطرحه آخرون، مثل الدحيح، بأنهم "[مهزومون نفسياً](#)".

خصص الدكتور قنبي حلقين متتاليتين على قناته للرد على الدحيح: "[الرد على الدحيح](#)"، و"[هل الدحيح ينشر العلم أم الإلحاد والخرافات؟](#)"، وقد حققا له في أقل من شهر عدد مشاهدات فاق أي حلقة سابقة قدمها على مدار 6 سنوات. فالأولى حققت 839000 مشاهدة في شهر، والثانية 567000 مشاهدة في أسبوعين فقط، والشكل المرفق يوضح ذلك (البيانات تم تجميعها في 31 آب/يوليو 2019).



الدكتور هيثم طلعت

أيضاً داعية مصري إسلامي، أراه متشدداً متطرفاً ومتعصباً، يخصص معظم حلقات [قناته](#) للرد على الملحدين (أو كما يفضل أن يسميهم الملاحدة)، ويخوض أيضاً في قضايا علمية حول الكون ونظرية التطور، وغالباً ما يخصص حلقات للرد على أشخاص بعينهم؛ ومن بين هؤلاء الدحيح وقد خصص له [خمس حلقات](#) على مدى السنة الأخيرة. ومما يلفت النظر أنه لم يتردد بالخروج من نمط "التقية"، أي ألا يواجه الحكم بالإلحاد لشخص "معين" بذاته، فهو قد اتهم أحمد سعد زايد بالإلحاد بشكل مباشر، وسمّاه "[الملحد الصابوني](#)".

يمكن مبدئياً اعتبار أسلوب الدكتور طلعت أسلوب متعلم على يد الدكتور قنبي، مع احترام الشخص، فهو أقل زادا علمياً، وأقل مهارة في المجادلة والمماحكة منه. لكن لا يمكن الادعاء أن

ارتفاع عدد مشاهدات قناته يعود بالفضل للدحيح فقط، بل بالإضافة لاسمين آخرين هما شريف جابر، الملحد المصري اليوتيوبي [المتطرف في هجومه على الإسلام](#)، والدكتور يوسف زيدان المعروف [بقفشاتة الإعلامية](#) ومواقفه [المثيرة للجدل](#).

وغيرهم كثير

نسبيا من هاجم الدحيح خلال الشهرين الماضيين، بسبب حلقة محاسن الصدف، عدد كبير، وغالبيتهم من الإسلاميين، ويتهمونهم على الأقل بأنه ينشر الإلحاد، وقد أحصيت على الأقل عشر فيديوهات خلال [الشهور الثلاث الماضية](#) على موقع اليوتيوب.

لا تنه عن خلق وتأتي بمثله

احتج كثيرون على من رد على قضاة محاكم التفتيش هؤلاء، بأن الردود تناولت نهجهم وشخصهم، وربما حصل ذلك من البعض، لكن يجب التنبيه أيضا إلى أن كثيرين منهم أيضا تناولوا ماضي وحاضر ما قال الدحيح وغيره. وبكل الأحوال ورغم خطورة اتهاماتهم التي شرحتها سابقا سأشير لعيوب النقد الموجه للدحيح عند أقواهم حجة، وأمهرهم مجادلةً، أي الدكتور قنبي، والرد على الآخرين لن يخرج عن هذا الرد، الذي قد يكون طويلا، لذلك سأكتفي بنقاش ما قاله أعلمهم.

[احتج الدكتور قنبي](#) على من يقص ويلصق، وينتقي ما يشاء بدون أمانة علمية، ليوجه الاتهامات له، وعاب عليهم هذا التصرف الغير أمين؛ وكذلك احتج على تناولهم لتاريخ ما قدمه من محاضرات، وتأويلهم لكلامه وفق رغباتهم هم؛ لكنه يعود ليمارس نفس الأسلوب مع الدحيح وغيره، وهذا ما سنراه من خلال النقاش والأدلة التالية.

الكذب على الدحيح في حلقة يا محاسن الصدف والجور في تفسير كلامه:

أولاً، الدحيح لم يتبنَ نظرية الأكوان المتعددة، ولم يقل إنها حقيقة علمية، بل قال بالضبط "في أحد التفسيرات الأشهر في ميكانيك الكم"، ثم تابع كلامه عن نظرية الأكوان المتعددة. كون الدكتور قنبي يرى أن هذه النظرية هي "خرافة وهبل" (وفق تعبيراته) فيبقى ذلك حقه كإنسان، لكن أن يجزم أن الدحيح قدمها كحقيقة علمية فهو **كذب بواح**.

ثانياً، الدكتور قنبي في حلقة يقتطع من حلقة الدحيح مقطعاً صغيراً خارج سياقه، ويمهد له بالقول "عشان يقنعك الدحيح بأن الكون جاء بالصدفة جاب لك دليل آخر"، ثم يعرض مقطعاً مُجْتَزَئاً من كلام الدحيح يقول فيه "الكون ده كان ممكن يكون أي كون آخر، بس عشان إحنا موجودين فيه، ده بحط قيود للثوابت الكونية مش العكس"، ثم يطرح الدكتور قنبي مثلاً يدعي أنه يشرح كلام الدحيح، وهو باختصار: أنت تريد السفر من القاهرة لإسطنبول، وبسبب إرادتك ستجتمع طائرة من العدم وتطير وتهبط بسلام، وسيحصل كل هذا بالصدفة فقط لأنك أردت، وليس العكس.

لو كان شخص آخر غير الدكتور قنبي قال هذا الكلام لكنا ربما عذرناه بأنه لم يستوعب المثال، أو أن معارفه الفيزيائية والفلسفية محدودة، أو أنه لا يحسن الاستماع، لكن بالنسبة للدكتور قنبي وحسبما يقدم نفسه لا تصلح أياً من هذه الأعذار له.

الدحيح قبيل جملته التي أوردها الدكتور قنبي، كان قد ذكّر المشاهد بمثال الرسائل المتعددة، وقال للمشاهد لا تفعل مثل الشخص الفائز بنصائح خبير سوق الأسهم، الذي صدق أن الرسائل أتته هو بالذات لأنه شخص مميز، ويقصد من مثاله أن الرسائل وصلت هذا الشخص بالذات لأنه هناك في ذاك العنوان وليس لسبب خاص به.

وبالتالي كلام الدحيح المذكور هنا يعني ببساطة، إن وجودنا في هذا الكون، ولأننا كائنات ذكية تفكر وتبحث وتتعلم، وتصف الكون من خلال ثوابت وقوانين، فهذا سيؤدي حكماً أننا

سنرى هذه الثوابت والقوانين ونصنفها ونصفها. فبالتالي فإن وجودنا ككائنات عاقلة ذكية وضع شروطا على الكون الذي نعيش به لأننا ندرك وجودنا به ونصفه، ولا يمكننا الوجود في كون آخر بشروط وثوابت مختلفة بنفس وعينا وصفاتنا، إذا إن وجودنا الواعي يضع قيودا على كوننا لأننا به، وليس لأنه هو هذا الكون.

ثم يورد الدكتور قنبي مثالا تبسيطيا للمشاهد لشرح حسب زعمه مقصد الدحيح، وهو مثال المسافر من القاهرة لإسطنبول، وهو مثال تضليلي فيه افتئات على كلام الدحيح، وتحميل معانٍ لم يقربها الدحيح بكلامه.

والمثال التوضيحي الصحيح بهذه الحالة، قياسا على مثال الدكتور قنبي هو: **لو أن شخصين ذهبا لمطار القاهرة، وقطعا التذاكر، ولم يكن هناك من بين مئات الطائرات سوى طائرة صالحة للسفر، فسافر أحدهما على متنها، ووصل لإسطنبول بسلام، وطوال الرحلة كان يقول لنفسه: "هذه الطائرة مُصنَّعة خصيصا لي، بهيكلها المتين، ومحركاتها النفائة، ومقاعد المريحة، وقائدها الماهر؛ والجو أصبح مناسباً لطيرانها كي أصل بأمان ودون التعرض لحوادث"؛ بينما تحطمت الطائرة التي أقلت الشخص الثاني ومات ركابها. فالراكب الناجي بالواقع لم يقل شيئا خاطئا، الطائرة التي استقلها تحمل كل مواصفات وشروط الأمان؛ بينما الشخص الذي مات، لم يعد موجودا ليقول أو يعي أو يدرك أن طائرته غير صالحة للطيران. وكل هذا لا يقتضي ولا يشترط أن تتجمع الطائرات من العدم، ولا يستلزم أن يكون اختيار الطائرة حصل بالصدفة بالنسبة للمسافر، كما ادعى الدكتور قنبي بمثاله.**

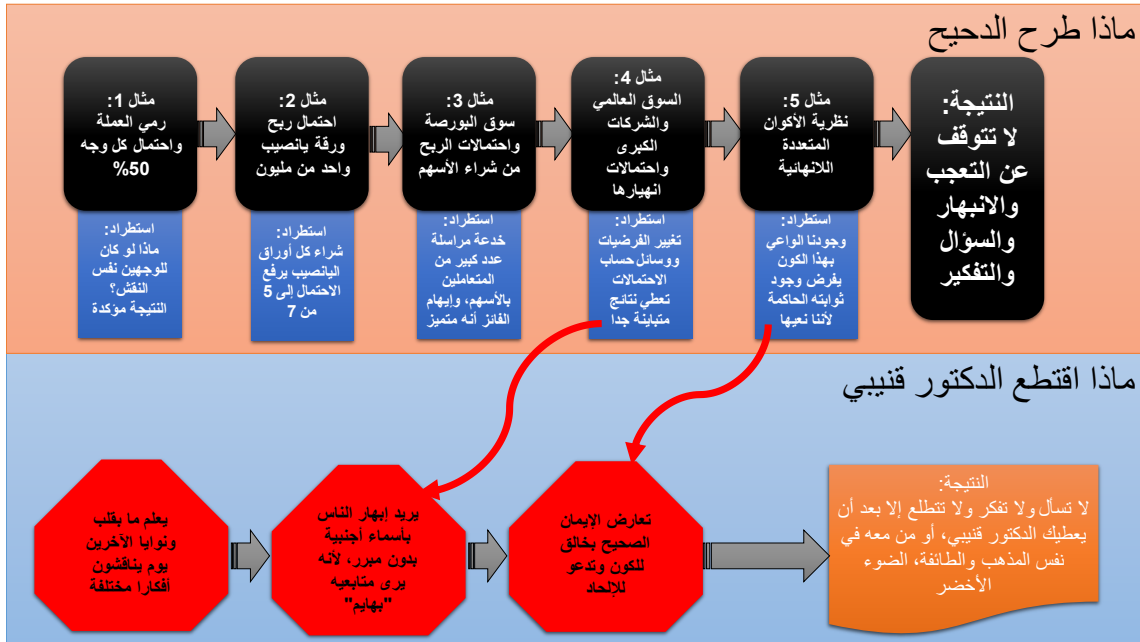
إذا فالدكتور قنبي يقص عبارة ويجتزؤها من سياقها، ثم يفسرها هو بكلامه وفهمه وليس بكلام الدحيح. أي فعل ما عابه على الآخرين.

لا يفوت الدكتور قنبي تذكير المشاهدين بتحصيله العلمي ومركزه، وهذا حقه. لكن أن يدعي أنه عالم، أو عليم، بالرياضيات وعلم الاحتمالات والمنحنيات الرياضية، ثم يدعي أنه لم يفهم لماذا ذكر الدحيح مثال استخدام منحنى التوزيع الطبيعي، ومنحنى توزيع كاوتشي فهو إما أنه فعلا لا يعلم، وهذا مصيبة أن يحكم بما لا يعلم؛ أو أنه يعلم ويكذب على مشاهده، وهذه مصيبة أشد. الدحيح أورد المقارنة المعروفة في علوم الإحصاء والأسواق المالية ليبين كما قال بوضوح، قبل وبعد عرض المنحنيات، إن تغيير الافتراضات ووسائل تقدير الاحتمالات قد تغير النتيجة بشكل هائل. وطرح الفرق بين طريقتين في تمثيل تابع كثافة الاحتمالات، الأول هو الطبيعي والأكثر استخداما، والثاني هو كاوتشي الأقل استخداما والذي له حالات خاصة؛ وما طرحه من فرق بين الطريقتين معروف لدى طلاب الدراسات الإحصائية عموما والمالية خصوصا، بل ويخدم فكرته الأساسية عند الانتقال بين الفرضيات إلى فرضيات مختلفة كثيرا عنها.

لكن الدكتور قنبي ادعى، صدقا أو كذبا، أنه لم يفهم العلاقة لكي يؤول كلام الدحيح في منحنى أنه يريد إهانة متابعيه، أو أن الدحيح لا يحترمهم؛ فقط لأنه استخدم كلمات أجنبية في الوصف، فيفسر كلام الدحيح على أنه يرى متابعيه "بهيمة".

فهل الدكتور قنبي عالم بالقلوب، أم أنه يستنتج مما لا يحيط به علما؟ وهل هو أقل استخداما للكلمات الأجنبية في محاضراته من اليوتيوب، أم أنه يستخدمها للضرورة والشرح، أما غيره فهو يريد إبهار متابعيه؟

أيضا الدكتور قنبي يهمل تماما أن الدحيح ختم حلقة بأهمية التعجب والانبهار مما هو مألوف، مشيرا بوضوح لضرورة التساؤل والسؤال، وأعتقد أن أهم ما حرّض عليه القرآن الكريم كان دعوة الناس للتفكير والتأمل والتساؤل، وليس التقليد والاتباع والافتئات على الناس وتقويلهم ما لم يقولوه بحجة العلم بما في القلوب. الكذب ليس فقط قول ما يناقض الحقيقة، بل إن إخفاء جزء من الحقيقة هو كذب أيضا، وأحيانا كذب أشد.



السؤال الأساسي: هل مناقشة أو الاقتناع بنظرية الأكوان المتعددة ودور مبدأ الاحتمالات بها يتعارض بالضرورة مع الإيمان بخالق؟

الجواب هو لا، يمكن للمؤمن أن يبقى مؤمنا بخالق، وأن يحاول أيضا فهم كيف يعمل الكون، وإثارة الأسئلة الكبرى والصغرى، فإن انهيار إيمانه أمامها، فذلك ليس بسبب سؤاله وتفكيره الحر، بل بسبب ضعف أسس إيمانه، والتي من بينها تسلط طبقات رجال دين على تلقين الدين للناس وحجرهم على حرية الفكر. ولعل هذا يذكرنا بمحاكمة غاليليو أمام محاكم التفتيش المسيحية التي رأته في ذلك الزمن مهرطقا بطروحاته؛ ويزكرنا أيضا كم هاجم [الشيخ والفقيه](#)، بل وبعضهم كفر، علماء المسلمين مثل ابن سينا وجابر بن حيان وغيرهم؛ ولا بد أنه يذكرنا بأن غالبية من الشيوخ رفضت إدخال الآلة الطباعة للسلطنة العثمانية، وأعاقت نشر الكتب لمدة مئتي سنة بين المسلمين.

الكذب على الدحيح في حلقات أخرى

نشر الدكتور قنيبي بعد حلقة الأولى "[الرد على الدحيح](#)"، حلقة الثانية بعدها مباشرة "[هل الدحيح ينشر العلم أم الإلحاد والخرافات؟](#)". لا نستطيع الجزم إن كان السبب هو فعلا الرد على الدحيح، أم

أن عدد المشاهدات الضخم الذي لم تشهده قناة الدكتور قنبي، خلال سنوات، شجعتة على الإسراع بنشر الحلقة الثانية؛ وطبعاً لا أدعي العلم بالقلوب والنوايا، مثلما يفعل هو، بل أقول الاحتمالات واردة بين التفسيرين السابقين وربما تفسيرات أخرى.

في حلقة الثانية عاد الدكتور قنبي كما قال إلى العديد من حلقات الدحيح، ووضع في حلقة سلسلة من المشاهد المنتقاة، والمقطوعة من سياقها، ثم وظفها لمصلحة هدفه الأساسي من الحلقة، وهو تثبيت أن الدحيح يدعو للإلحاد؛ وزاد على ذلك، كعادة رجال الدين، اتهام الدحيح أن يروج للردائل الأخلاقية؛ كل ذلك بناء على تأويل الدكتور قنبي لما قصصه من فيديوهات الدحيح.

وللتدليل على ذلك سأكتفي بمثال واحد كي لا نطيل أكثر، ومن أراد يمكنه مراجعة الحلقة وحلقات الدحيح ليرى التلفيق في الاتهامات.

يتهم الدكتور قنبي الدحيح بأنه يدعو أو يبرر التحرش الجنسي بالأطفال، لأن الدحيح في حلقة " مخير أم مخير؟" يقول إن الإنسان ليس مختاراً بل مسيراً، وفق تأويل الدكتور قنبي، الذي يتجاهل ما قاله الدحيح في الحلقة.

لو عدنا لحلقة الدحيح، لوجدناه يذكر حادثة حقيقية عن شخص ظهرت عنده ميول جنسية نحو الأطفال، ثم تبين أن السبب كان ورماً في منطقة معينة من الدماغ، والذي بعد استئصاله عاد الرجل طبيعياً، (هذه لا يشير لها الدكتور قنبي). ثم يضيف الدحيح بوضوح وبجلاء، إن التحرش الجنسي بالأطفال هو عمل شنيع، ليس شيئاً بسيطاً بل شنيع، وقد يتسبب بأذى نفسي مدمر على الطفل، (هذه أيضاً لا يشير لها الدكتور قنبي).

أما في نهاية الحلقة فالدحيح يقول بوضوح أيضاً، بعد عرضه لمختلف النظريات والتجارب حول سؤال التخيير أو التسيير، بأن السؤال ما زال قائماً، وأنه هو لا يعرف الجواب الدقيق، لكنه يراه بين الاثنين، ويبقى السؤال مفتوحاً، (هذه أيضاً لا يشير لها الدكتور قنبي).

إذا بالمحصلة، يوجه الدكتور قنبي اتهاماً فاحشاً للدحيح بأنه يبرر التحرش الجنسي بالأطفال، بناءً على قص جزء من كلامه، وإخفاء ما قاله الدحيح كـ رأي شخصي، لأنه كما يبدو متأكد أن المشاهد لن يعود للتحقق. **فهل بعد هذا كذب وافتراء؟**

ملاحظات عامة على أسلوب الدكتور قنبي مقارنة بالدحيح

حسب اطلاعي على حلقات الاثنين، فيمكنني الجزم بأن الدحيح لم أسمعته مرة يقول لشخص أو فئة من الناس بأنهم "أغبياء أو عبيطون أو خرافيون أو لا عقليون أو بهائم". لكن نجد هذه العبارات متكررة بحلقات الدكتور قنبي، خاصة في نقاشه للنظريات التي لا يقتنع بها مثل نظرية التطور. وهنا السؤال سؤال تقييم أخلاقي أولاً وقبل كل شيء، حيث من الواضح من هو الذي **يجادل بالتي هي أحسن**.

لم يقل الدحيح في حلقاته لمتابعيه، خذوا مني الحقيقة كاملة، وما أذكره لكم هو كلام العلم والعقل النهائي، بل على العكس تماماً يعتمد أسلوبه على إثارة السؤال، وترك الجواب مفتوحاً. بينما ينحو الدكتور قنبي للجزم بكل أحكامه حتى لو تناولت قضايا محل أخذ ورد، مثل الخلافات حول نظرية التطور، أو نظرية الأكوان المتعددة، وهو الذي يدعي العلم الأكاديمي، يعلم تماماً أن لا وجود لأجوبة نهائية في هذه العلوم. ويعلم الدكتور قنبي أن العلم وفق تعريفه والذي يسميه "العلم الحقيقي"، حتى لو استند لإيمانه الديني وفهمه للنص المقدس، لا يلزم الآخرين حتى من نفس دينه بأن ما قدمه حقيقة ثابتة. وهو يعلم تمام العلم أن المسلمين، وخاصة علمائهم وشيوخهم اختلفوا في كل شيء بما يخص العقائد بدءاً من فهمهم للذات الإلهية وصفاتها وأسمائها، مروراً بأحكام الفرائض والسنن، وانتهاءً بأحكام حف الشارب وإعفاء اللحى. والسؤال هنا من هو الذي يروج بين الناس ويحثهم على أن يتفكروا ويعقلوا، ومن يخبرهم أن يتبعوا ما وجدوا عليهم آبائهم؟

باختصار، **أيهما في هذين السؤالين الأساسيين، الأخلاقي والعقلي، أقرب للعقل السليم والدين الإسلامي في جوهره؟**

لماذا هي محاكم تفتيش؟

قد يحتج البعض بأن لا محاكم تفتيش في الإسلام بجوهره وأصوله، وهذا صحيح. ولكن أذكرهم أن المسيحية أيضا لا تضم محاكم تفتيش في جوهرها وأصولها. الفرق الوحيد بين محاكم تفتيش القرون الوسطى المسيحية وما يمارسه عديد من شيوخ ودعاة إسلامي هذا العصر، هو أنهم لا يسمّون أنفسهم "قضاة" أو "محاكم"، لكن المنهج والنتيجة هي نفسها: "ادعاء حماية الله والدين والمؤمنين وفق سُلّم تقييم وضعوه هم لتصرفات وكلام وأفكار الناس".

لن نجد في التاريخ الإسلامي هيكلية مؤسسية تشبه محاكم التفتيش المسيحية، لكننا بالتأكيد سنجد الكثير من الممارسات التي تمت عبر رجال دين إسلاميين حاکمت نوايا وقلوب المسلمين، اعتمادا على أقوالهم وتصرفاتهم. ليس الهدف هنا الدخول في هذا التاريخ، لكن يمكن التذكير بالملهاة السوداء ما بين من قال إن القرآن مخلوق، ومن قال إن القرآن غير مخلوق، ومن قال لا شيء.

لم يكن شهيد الحرية الفكرية فرج فودة أول وآخر ضحايا حملات التكفير والالتهام بالردة والإلحاد، ولم يتوقف الأمر عند نجيب محفوظ ومحاولة قتله، بل تمددت أذرع السلطة الكهنوتية الإسلامية العصرية المتعصبة في كل الدول الإسلامية، تمنع وتحجب، حتى أنها سيطرت على الإعلام الفضائي بدءا من الجزيرة والعربية ومرورا بكل الفضائيات العربية، حتى المُمولة غربيا، ناهيك عن الفضائيات الدينية الإسلامية والمسيحية.

وقد رأينا أن صياح وضجيج كثير منهم خلال العقود السابقة، لم يفد المسلمين والإسلام بشيء، سوى تشجيع التطرف والتعصب وخروج جماعات مشحونة بأصدا صراخ بعض الشيوخ ليقتلوا هذا المفكر، ويغتالوا ذلك الكاتب، ويرفعوا سيف الردة على ذلك المتسائل، ويفجروا في تلك المدينة، ويعلموا حروبا على المسلمين وغير المسلمين.

لكنك لم تناقش حجج الدكتور قنيبي العلمية!

نعم هذا صحيح، لأن غاية هذه الورقة ليست نقاش هل ما قدمه الدحيح من نظريات وأفكار، أو ما قدمه الدكتور قنيبي من نظريات وحجج، هو صحيح أو خطأ تماماً من الناحية العلمية. الغاية هي نقاش الأسلوب القمعي الذي تستخدمه هذه التيارات الإسلامية، مستعينة بالسلطات السياسية والإعلامية القائمة، ومستغلة للمشاعر الدينية للناس، من خلال احتكارها لتفسير وتأويل الدين في مواجهة أي تفكير حر، وفي مواجهة حركة العلم والسؤال والجواب وتحرير العقل. فلا يهمني هنا مناقشة كم هي صحيحة أو خاطئة نظرية كل شيء لهوكنغ، أو نظرية التطور؛ لأن الأهم هو مواجهة سيف التكفير والاتهامات الجاهزة، واحتكار تفسير الدين، في مجتمعات يحكم مشاعرها الدين، ولا تملك منظومة الدولة العادلة ولا نظاماً يحمي أسس حقوق الإنسان.

الغاية هي نقاش السجن الذي يصير كهنة الإسلام أن يقيموه على العقل، والذين عندما يدعون العقلانية، فهم يختارون ويحددون الحدود والمساحات المسموحة، وحتى النتائج بشكل مسبق، كما فعل هذا التيار مع الدحيح وغيره؛ والورقة المرفوعة دائماً بيدهم هي الاتهام بالكفر أو الإلحاد أو عدااء الإسلام والمسلمين أو الفسق أو الترويج لهم، ومع هذه الورقة سيف حكم قتل المرتد يلوح فوق رؤوس الجميع.

نعود للسؤال الأصلي أليس الترويج لهذه النظريات ترويج للإلحاد؟

باختصار شديد، وإذا فرضنا صحة هذا الادعاء:

- 1- إما أننا كشعوب ومسلمين ومسيحيين ومن كل الأديان سنستطيع أن نعيش في عصر الاتصالات والعلوم والمعلومات، بكل ما فيها من مفيد وضار، من غث وسمين، ونثق بأنفسنا، أو نبقي نعيش في أوهام الضحية التي ترى كل شيء حولها سهماً موجهاً لها.

2- الإيمان والإلحاد حق اعتقاد لكل إنسان، وهذا مثبت بجوهر الإسلام، وهو ما اتفقت عليه البشرية في عصرنا.

3- هذه المنهجيات في قمع أي فكرة أو رأي مخالف سببت الكوارث في تاريخ المسلمين، وكان كل الأطراف يضطهدون بعضهم بعضا باسم الله والدين. وهي منهجية ملازمة للديكتاتورية، والخلاص من الديكتاتورية يستحيل أن يحصل طالما بقي لدينا قناعة، بأن من حق جماعة من الأشخاص أن تقمع الأفكار وحرقات الاعتقاد.

4- من حق كل إنسان إعلان عقيدته والدعوة لها، وليس منطقيا ولا عادلا ما يتم فرضه على عقول الناس، خاصة المسلمين، بأن للمسلمين فقط حق إعلان عقيدتهم والدعوة لها في المجتمع ذو الغالبية المسلمة. فهذا ليس فرضا إسلاميا بل وسيلة استخدمها شيوخ الإسلام لترسيخ سلطتهم.

كل ما سبق بفرض صحة ذاك الادعاء. لكن بالواقع إن مناقشة أي فكرة يمكن تفسيرها على أنها دعوة للإلحاد، ولن نجد مرجع مقارنة يحكم بأي شكل، فمثلا يمكن تفسير ما يلي على أنه دعوة للإلحاد عند فئة من الشيوخ والفقهاء، والتعصب لمنهج جماعة منهم لا يعني أنهم الأصح وممثلو الفرقة الناجية:

1- إن قوانين الميكانيك العام التي كانت من أكبر الثورات العلمية في تاريخ البشرية، تقول إن كل جسم يتحرك وفق قوانين ثابتة، وليس وفق أي إرادة فوق طبيعية أو إلهية.

2- إن نظرية النسبية التي وضعها آينشتاين، والثابتة علميا وهي أساس كل التطور التقني الذي نعيشه، تقول إن كل ما في الكون نسبي إلا سرعة الضوء فهي مطلقة. والدين يقول إن الله هو الحقيقة المطلقة الوحيدة. ناهيك عما تقوله حول انعدام الزمن في سرعة الضوء واختفاء المادة نهائيا في الثقب الأسود.

3- إن علم ميكانيك الكم الذي يقوم على مبادئ الاحتمالات، والذي يمثل أيضا أساسا لإنجازات البشرية العلمية، يتعامل أيضا مع الاحتمالات والصدفة، بل حتى آينشتاين نفسه لم يستطع

تقبله فقال معلقا عليه: إن الله لا يلعب النرد. لكن التجارب العلمية أثبتت صحة ميكانيك الكم.

4- إن أبحاث الهندسة الجينية وأبحاث استنساخ البشر، تسير بسرعة كبيرة، ومن المؤكد أنهم سيصلون للتحكم بالكثير حول جسم الإنسان، بدءا من جنس المولود، واستنساخ البشر. وبغض النظر عن النقاش الأخلاقي، فهذا أيضا قد يعارض أفهامنا للإله والخلق.

فهل نرفض دراسة ونقاش كل شيء؟ هل نستبدل الديكتاتوريين السلطويين بديكتاتوريين دينيين يحددون ماذا نتعلم وماذا نناقش وبماذا نفكر وبماذا نشك وبماذا نؤمن؟

قد يقول البعض، ما ذكرت من أمثلة لا تتعارض مع الإسلام الصحيح، وقد يستطيع الدكتور قنبي الرد على ذلك.

حسن هذا صحيح، قد يستطيع أيا كان الجدل حول هذه الأمثلة، لكن هذا لا يعني أن عددا غير قليل من مسلمين أو شيوخ مسلمين سيرون ذلك إلحادا أو كفرا أو إساءة للذات الإلهية، والتاريخ يثبت أن شيوخ وفقهاء الإسلام، وكل الأديان، ما اتفقوا أبدا على قضايا من هذا النوع. والجدل الذي قدمه الدكتور قنبي وغيره يحمل بعض الوجاهة (باستثناء أسلوبه الغير مهذب في نقاش الآخرين، والتكفيري ضد المسلمين المخالفين له)، لكنه ليس كلاما نهائيا ولا قطعيًا إلا عند من يسمعه وهو يؤمن مسبقا بقدسية ما سيقولون، أو قدسية ما يستندون إليه من فهم للدين.

والأهم وأعود للتذكير به، يوم يقف المسلمون بوعي وعقل وحب حقيقي لدينهم، وليس اتباعا لشيوخهم، ويوقفوا فتوى حكم عقاب المرتد، الذي يشمل عمليا كل مخالف لفهم الشيوخ لأحد مذاهب الإسلام، يمكن وقتها فقط أن نقول إنما هي حرية النقاش والجدل بين الأفكار؛ فقبل أن يختفي سيف الفتاوى وتحليل الدماء بسبب الأفكار والكلام والسلوك الشخصي لن يكون هناك نقاش بل تسلط وإرهاب فكري.

هل يقدر حراس المعبد الإسلاميون والمسلمين حق قدرهم؟

لو أتى إنسان من المريخ لم يعلم شيئاً عن البشر هنا، وسمع حملات التكفير هذه، وصراخ عديد من الإسلاميين والشيوخ حول الأخطار الماحقة المهددة للإسلام والمسلمين، والتحذيرات المتشجعة من مؤامرات كونية تريد هدم الإسلام، سيسأل سؤالاً منطقياً بسيطاً هو التالي:

"هل هذا الدين ضعيف عقائدياً وروحياً لهذه الدرجة لكي يخافوا عليه من حروب الآخرين، أو كتب أو إعلام الآخرين؟ هل سينهزم هذا الدين أمام قناة فضائية أو ألف قناة؟ أم أن المسلمين هم بهذه السذاجة، أو ضعف الإيمان والإدراك لدينهم لكي ينهاروا أمام هجمات الآخرين؟ أم أن عددهم قليل جداً بين سكان هذه الأرض؟"

في الواقع من يسمع غالبية دعاة وشیوخ هذا العصر من مسلمين سيشعر بالخجل أمام مثل هذا السؤال. فالإسلام دين عمره 1400 سنة، ويؤمن به أكثر من مليار ونصف إنسان على هذه الأرض، وقد عمل له وفي حضنه عقول فذة وقلوب مخلصّة طوال قرون، وأتباعه أثبتوا حسن العقل والأخلاق كبشر مثل غيرهم، وارتكبوا الأخطاء والخطايا أيضاً مثل غيرهم من بشر؛ لكن كثير من متزعمي دينهم، من شیوخ ودعاة وإعلام وسياسيين، لا يرون ذلك، ولا يثقون بالإسلام كدين، ولا بالمسلمين كمؤمنين، كما يبدو من استعراضاتهم الشعبوية العاطفية. إنهم يريدون أن يبقوا سيف التكفير والتفسيق والالتهام بالردة والإلحاد والخروج على الأمة مشهوراً في وجه كل من يخالف أفهامهم المتحجرة للدين، حماية لسلطتهم وامتيازاتهم وليس حماية للإسلام والمسلمين.